

## غفران السورية

أحمد بهجت صابر

(صحفى بجريدة الأخبار المسائى)



16 مايو 2016

فى خضم الأحداث الكثيرة والمريرة فى بعض الأحيان كان لى شرف حضور ومتابعة مؤتمر "قضايا اللاجئين والنازحات فى المنطقة العربية .. الواقع والمستقبل" الذى نظمته منظمة المرأة العربية فى الفترة من 3 حتى 5 من الشهر الجارى بالقاهرة، امتلأت الجلسات بالكثير من القصص والروايات المحزنة حتى ظننت أنه من المفترض تحويل قاعة المؤتمر إلى " بكائيات " عامة على أحوالنا المزرية فى العالم العربى .

بعد انتهاء أعمال اليوم الأول وعلى طاولة الغذاء شاركنى المائدة أربع سيدات سوريات من المقيمت بالقاهرة الآن هن " غفران, نزيهة, رائدة, رشا " وبعد التعارف قصت على السيدة غفران بعض الفطائع التى يعيشها الشعب السورى تحت نظام السفاح الأسد الابن, فأخت زوجها طالها بعض آثار السلاح الكيماوى فأصابها بشلل تام, وأولاد غفران يقيمون الآن فى ألمانيا, لم تستطع خلال حديثها أن تحبس دموعها وبكاءها حينها تساقط جلد وجهى خجلاً من الأوضاع المزرية التى وصلت إليها أحوالنا بالعالم العربى ومن هذا

العطب فى الإدراك لدى كثيرين لم يستطيعوا تبين حقيقة هول ما يحدث على الأرض السورية المحتلة من قبل نظام وشبيحة السفاح الأسد, وما يحدث على باقى الجغرافيا العربية .

لم يكن منى إلا أن اعتذرت لها مؤكداً " أننا السبب " فيما وصلنا إليه بسبب الخنوع والرضوخ لأهواء " المخابيل " من الحكام العرب على مدار العصر الحديث , ففى وطن عربى لايزال يبحث عن هويته حتى اللحظة ناسياً أن الإسلام هو تاريخه وهويته وثقافته ضلت الدول العربية الطريق مبكراً منذ حصولها على استقلالها الشكلى فى منتصف الخمسينيات من القرن الماضى , تخبطت السياسات - هذا إن وجدت - تسلق المجرمون على كراسى الحكم ووجد هؤلاء ضالتهم فى فئة سوقت لهم أوهامهم وأضغاث أحلامهم .

المأسى التى سمعتها من السيدة غفران ليست الوحيدة فقد ذكرت لى أيضاً باحثة سورية مقيمة بالقاهرة ضمن المجموعة الاستشارية للهيئة العليا للمفاوضات بين جنبات المؤتمر أن زوجها لم يستطع اللحاق بها فى مصر نظراً لمنع منح التأشيرات للسوريين -على حد قولها- منذ عام 2013 , معاناة السوريين لا تتوقف عند هذا الحد فهى الملهاة الأكبر فى العصر الحديث منذ الحرب العالمية الثانية إن لم تجاوزها بحجم ما فيها من مأسى ودمار قياساً لرقعة الجغرافيا, فمسرح عمليات الحرب العالمية كان يشمل قارات فى حين مأساة سوريا داخل حدودها .

ما أراه وأسمعه وأشاهده عن كارثة سوريا لم أجد له شبيهاً إلا فيما قرأته بمذكرات الطبيب اليابانى متشهيكو هاتشيا " يوميات هيروشيما.. 6 أغسطس - 30 سبتمبر 1945 " و التى كتبها باليابانية ثم تُرجمت إلى الإنجليزية ونقلها وعربها دكتور **رعوف عباس حامد**, حيث كان هاتشيا مديراً لمستشفى المواصلات بـهيروشيما التى كانت تقوم بعلاج موظفى وزارة المواصلات بالمنطقة, ويروى من خلال يوميات الكتاب أشياء لا تصدق يعجز العقل البشرى عن إدراكها واستيعابها فينقل عن أحد الأشخاص قوله ".. رأيت رجلاً يجلس فوق دراجته وقد تفحم جسده وكان على ما يبدو يلتمس سبيلاً للفرار حين وقعت الواقعة .." يقصد إلقاء القنبلة الذرية على مدينته هيروشيما .

ويُرجع **عباس حامد** في مقدمة الكتاب ما حل باليابان نتيجة طبيعية لسيطرة العسكريين على الحكم هناك، فالفظائع التي يرويها هاتشيا في الكتاب لا تُصدق بالأجساد تتفجر وروائح اللحم البشري المحروق في كل مكان تقريباً ورغم كل هذه المآسي تجد من يسوق أيضاً للבלاهات والترهات فيها هو يقول " ..وبعد أن بلغتنا أنباء قصف ناجازاكي جاءنا رجل من فوتشو ذكر لنا أن اليابان تملك هذا السلاح الغريب ولكنها حتى الآن كانت تحيطه بسرية بالغة ولم تستخدمه ليقينا أنه سلاح يكفي اسمه لإثارة الفزع والرعب ... " ولا يمكنني أن استوعب هذه الخرافات إلا من الواقع المزرى الذي نعيشه جميعاً .

لكن السؤال يبقى هل لمهاة سوريا من نهاية ؟ ! رئيس الوزراء البريطاني السابق جوردون براون يجيب في مقالة له على موقع الجزيرة نت مترجمة عن موقع بروجيكيت سينديكيت بعنوان " زرع بذور المستقبل في سوريا " إننا نواجه خطر إنتاج جيل ضائع من الشباب السوري .

حجم المأساة السورية فوق الوصف أطفال بدون عوائل، الكثيرون فقدوا أوراقهم الثبوتية، لا أمل في التعليم لدى البعض لسد الاحتياجات الإنسانية الملحة، أعداد اللاجئين والنازحين داخل وخارج سوريا يتجاوز قرابة نصف المجتمع، دولة لا تعرف ماذا ستفعل في حال انقشع الهم الأسود إزاء داعش وروافده ؟، أعداد القتلى شارفت على نصف مليون إنسان، وإزاء كل ذلك سيكون من العبث أن تقول لهؤلاء المنكوبين إن الأمل لا يزال معقوداً .

نعم الأمل لا يزال معقوداً فمن كان يدرى أن الحجر الأسود الذي سُرق لمدة 20 عاماً تقريباً على أيدي القرامطة سيعاد لمكانه مرة أخرى ؟ جانب من مشهد الأمل يرصده براون في مقاله هذا حيث يقول " لا يمكننا انتظار نهاية الحرب لإصلاح ما تهدم وإعادة بنائه، خاصة عندما يكون هناك عمل ينبغي القيام به اليوم. وبتسهيل الوصول إلى المعلومات سنوفر للاجئين الفرصة لمواصلة دراستهم. وبما أن الأمل بدأ يعود تدريجياً إلى سوريا، فإن شبابها الضائع سيضع بنفسه الأسس الجديرة لإعادة بناء وانبعاث بلاده. "، هذا جانب ولاشك في غاية الأهمية لكن يبقى على الدول العربية أن تقطع اتصالاتها مع نظام السفاح الأسود ، وللسيدة غفران وأخواتها وعائلتها وأقاربها أقول لك لا تسأليني عن العدل في بلاد المسلمين فقد مات عمر !

[ahmadibraim@yahoo.com](mailto:ahmadibraim@yahoo.com)

<http://albedaiyah.com/articles/2016/05/16/113153#sthash.QuMJRxf5.dpuf>